SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.24 NO. 2 2025
DOI: 10.51984/JOHS.V24I2.4469

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

دور التراث في التنمية المستدامة في موريتانيا

محمد الأمين عابدين

قسم الجغرافيا، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، موريتانيا

الملخص

تمتلك موريتانيا مؤهلات تراثية غنية ومتنوعة، أسهمت بشكل عام في تحسين مؤشرات التنمية المستدامة رغم المقاربة الكلاسيكية التي تنتهجها الدولة في تدبير التراث؛ وهو ما يفرض التعامل مع التراث وفق رؤية تشاركية من أجل وضع استراتيجية محكمة تستهدف علميات: الحفظ، والصيانة، وإعادة الاعتبار، والترميم، والتثمين، والبحث عن السبُل الكفيلة بتوظيف التراث ليس فقط في تنمية القطاع السياحي، بل في تأهيل منظومة الاقتصاد الوطني بشكل عام. ويسعى هذا المقال إلى تشخيص واقع التراث الطبيعي والثقافي في موريتانيا وتبيان مساهمته في تحقيق التنمية المستدامة. أما منهجيا تنبني الدراسة على نتائج دراسة ميدانية، اعتمدنا فيها أدوات منهجية متنوعة؛ وتتبعنا خلالها مراحل علمية وعملية عدة من دراسة بيبليوغرافية، وبحث إحصائي، وعمل ميداني، كما وظفنا فيها مجموعة من التقنيات الكرطوغرافية والإحصائية.

الكلمات المفتاحية:

التراث
المؤهلات التراثية
التثمين
التنمية المستدامة
تدبير التراث
موريتانيا

The Role of Heritage in Sustaninable Development in Mauritania

Mohamed Lamine Abidine

Departmet of Geography, Faculty of Letters and Human Sciences, University of Nouakchott, Mauritania

ABSTRACT

Mauritania possesses rich and diverse heritage assets that have, in general, contributed to improving sustainable development indicators, despite the classical approach adopted by the state in heritage management. This situation necessitates addressing heritage with a participatory vision in order to establish a rigorous strategy targeting processes of preservatin, maintenance, rehabilitation, restoration, valorization, and explorin ways to utilize heritage not only for the development of the tourism sector but also for enhancing the nationnal economic system as a whole. This article seeks to diagnose the current state of natural and cultural heritage in Mauritania and to demonstrate its contribution to achieving sustainable development. Methodologically, the study is based on fieldwork results, using diverse methodological tools. It follows scientific and practical stages, including bibliographic study, statistical research, and fieldwork, in addition to employing various cartographic and statistical techniques.

Keywords:

Heritage
Heritage assets
Valorization
Sustainable development
Heritage Management
Mauritania.

1. المقدمة

توجد علاقة متلازمة بين التراث والتنمية المستدامة، حيث إن حركية المجتمع تتطلب إيجاد نظم وآليات لإشباع حاجات المجتمع المتزايدة مع ترشيد استغلال الموارد المتاحة لتمكين الأجيال القادمة من الحصول على متطلبات بقائها؛ وهو ما تؤكده المؤتمرات الدولية مثل مؤتمر "ستوكهولم" (1972) بشأن البيئة البشرية ومؤتمر "هانغزو بالصين (2013) بشأن الثقافة والتنمية، حيث يعد الحفاظ على التراث جزءا من الحفاظ على البيئة نظرا لأن العديد من المعارف التقليدية تعتمد على مبادئ التوازن مع البيئة واستغلال الموارد بشكل مستدام.

ويعتبر التراث من أهم ركائز الهوية الوطنية كما يعد أداة فعالة لتحقيق التنمية المستدامة، حيث أن التراث لا يقتصر على كونه موروثا تاريخيا فحسب، بل يمثل موردا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا يمكن استثماره بطرق مستدامة تخدم الأجيال الحالية والقادمة. كما يمكن أن يلعب التراث دور المحرك للطاقات المنتجة من أجل تنمية محلية وجهوية مندمجة ومستديمة، خصوصا في بلد كموريتانيا؛ التي يعد التراث جزءا من كيان الأمة ووجها من أوجه أصالتها وتطورها على مر العصور وموردا مهما من مواردها الاقتصادية... ونظرا لذلك فقد بادرت موريتانيا إلى تثمين التراث سنة 1972 بعد إنشاء وزارة للثقافة، حيث عملت هذه الأخيرة على توطين المتحف الوطني بمدينة

*Corresponding author:
E-mail addresses: med.lemine.abidine.1989@gmail.com
Article History : Received 04 October 2024 - Received in revised form 12 November 2025 - Accepted 30 November 30

نواكشوط ومصادقة موريتانيا على الاتفاقية الدولية لصيانة التراث الثقافي في نفس السنة. ومنذ هذا التاريخ أولت موريتانيا أهمية خاصة للإطار القانوني المتعلق بالمحافظة على التراث، فسنّت القانون رقم 70/160 الصادر بتاريخ 1972/07/31 الذي نص على صيانة وإحياء التراث الثقافي المادي بالبلاد؛ وهو القانون الذي رُوجع ونُقّح وعُدّل بالقانون رقم 2005/46 الصادر بتاريخ: 2005/07/25 المعدَّل بدوره بالقانون رقم 2019/24 الصادر بتاريخ: 2019/05/14. كما عملت وزارة الثقافة على تثمين التراث في مختلف أبعاده وتجلياته؛ مما ينم عن وعي بأهمية هذا التراث بوصفه رافعة للتنمية المستدامة، ومن هذا المنطلق أقرّت السلطات العليا المهرجان السنوي للمدن التاريخية الأربعة (ولاته، تيشيت، شنقيط، ووادان)، ثم سارعت إلى تسجيل تراثها المادي واللامادي في اليونسكو حفاظا على الهوية والانتماء.

وتسعى موريتانيا من خلال إدماج سياسات صيانة التراث لضمان استدامة المؤهلات التراثية المتنوعة التي تزخر بها البلاد والتي بإمكانها أن تجعل منها وجهة سياحية واعدة على المستوى العالمي إن اتبعت أساليب ترويج سياحي ناجحة، نظرا لأن التراث يعتبر من بين أهم عوامل الجاذبية ب السياحية في موريتانيا.

- **إشكالية الدراسة**

شهدت موريتانيا على غرار معظم دول العالم خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين اهتماما كبيرا بالتراث باعتباره جزءًا مهما لترسيخ الهوية الوطنية، خصوصا في ظل العولمة والمنافسة الكبيرة التي يعرفها العالم في مجال استغلال التراث بوصفه موردا اقتصاديا يجب استغلاله بطريقة مستدامة تراعي طبيعته الهشة وتضمن الحفاظ عليه بوصفه ذاكرة حضارية ذات خصوصية مهمة.

وانطلاقا من ذلك، فقد عملت موريتانيا منذ السنة الأولى من توقيعها على الاتفاقية الدولية لصيانة التراث سنة 1972 على تطبيق مقاربة تنموية للحفاظ على التراث الذي تزخر به موريتانيا، ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسية لهذا المقال، والتي يمكن صياغتها من خلال السؤال الإشكالي التالي: **"كيف يسهم التراث في تحقيق التنمية المستدامة في موريتانيا"؟**، ومن أجل دراسة هذه الإشكالية قمنا بتقسيمها إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي وضعية التراث بموريتانيا؟
- ما هو واقع القطاع السياحي بموريتانيا؟
- ما هي مختلف التحديات التي تعاني منها التنمية المستدامة، وكيف يمكن وضع حلول لها؟

- **فرضيات الدراسة**

تعد الفرضية من أهم عناصر البحث العلمي، حيث تقدم مجموعة من التوقّعات التي تقدّم تفسيرات مؤقتة لإشكالية البحث، ومن أجل الإجابة على الأسئلة المطروحة سننطلق من الفرضيات التالية:

- ☑ تتميز موريتانيا بتراث غني منه ما هو مادي وغير مادي؛
- ☑ تتوفر موريتانيا على بنية تحتية سياحية مهمة أسهمت في الرفع من عدد السياح؛
- ☑ يعاني التراث من مجموعة من التحديات، لكن بتضافر جهود الفاعلين يمكن التغلب على هذه التحديات.

- **أهداف البحث**

يمكن إجمال أهداف هذه الدراسة في:

- إبراز أهمية التراث المادي واللامادي في موريتانيا؛
- تحليل مساهمة التراث في التنمية المستدامة؛
- اقتراح حلول لحماية وتثمين التراث من منظور التنمية المستدامة.

- **المفاهيم المؤطرة للدراسة**

تعتبر مرحلة تحديد المفاهيم مرحلة أساسية في كل دراسة علمية، والهدف من هذه المرحلة نجنب الالتباس الذي قد يقع في الفهم، وسنقتصر هنا على دراسة مفهومي: التراث والتنمية المستدامة.

- **التراث:** التراث في اللغة: مصدر مشتق من الفعل ورِث يرث ورثا ووراثة، والتُّراثُ: الإِرث، قال تعالى: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} والتراث: ما يخلفه الميت لورثته من مال. وفي لسان العرب لابن منظور نجد أن الإرث: الميراث، كما أن التراث هو: كل ما مضى عليه خمسون عاما أو يزيد (ابن منظور، 1997، ص: 19). كما وردت كلمة "ورِث" بالكسر في القاموس المحيط للفيروز أبادي قائلا إنها هي أصل كلمة "تُراث" بمعنى الإرث في كل من المال والنسب، يقول الفيروز أبادي: وَرِثَ أباه منه بكسر الراء، يرِثه كيعده ورثا ووراثة (الفيروز أبادي، 1987، ص200).

أما التراث اصطلاحا: فيعتبر من المفاهيم المعقدة؛ نظرا لتعدد التخصصات التي تناولت هذا المفهوم وتعدّد النعوت والاصطلاحات التي تطلق على التراث، فهنالك من حدّد التراث فيما هو معماري من بنايات وقصور وقصبات، فيما ربطه آخرون بما هو ثقافي وقيمي، وبعضهم يرى أنه يشمل كل ما هو إبداعي وفني من نقوش وأفكار وحكايات.

وبغض النظر عن صفة التراث سواء أكان محليا أو وطنيا أو إنسانيا، فإنه يعبر عن تراكم حضاري وثقافي موروث عن الأجيال والقرون الماضية، معبّرا عن مضمون عناصرها المادية أو اللامادية كالمعتقدات والمعارف والأخلاق والصناعات والحرف وقدرات الإنسان والمسلكيات الاجتماعية القائمة على الخبرة والتجارب والأفكار المتراكمة عبر العصور التي، غالبا، ما تنتقل إلى الأجيال اللاحقة من خلال اللغة والتقاليد والمحاكاة.

ويعرّف المستشرق الفرنسي **"جاك بيير"** التراث بأنه: "الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل" (النجاة محمد الإمام، 2023، ص45)، كما يعرف **"محمد عابد الجابري"** التراث بأنه: "حضور السلف في الخلف وحضور الماضي في الحاضر" (محمد عابد الجابري، 1991، ص24).

عموما، فإن التراث عبارة عن ذلك النمط المعيشي الي ينتهجه مجتمع معيّن، ثم يتوارثه أفراد ذلك المجتمع أبا عن جد، ويشمل هذا النمط مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والعمرانية (حاجي يحي وقجال نادية، 2018، ص 129).

وتأسيسا على ما سبق، يمكننا تعريف التراث الموريتاني بأنه: كل عمل بشري أو نتاج للتأثير المشترك بين الإنسان والطبيعة ذو أهمية أثرية أو تاريخية أو عملية أو فنية أو جمالية، تبرّر حفظه ونقله إلى الأجيال القادمة. وتعد كافة بقايا الآثار، والممتلكات الثابتة، والمنقولة، العمومية، والخصوصية المكتشفة أو محلا لبحث، وكل الوثائق، والمخطوطات ذات الصلة بالدين والتاريخ والعلم والفن ونمط العيش جزءا من التراث الوطني.

- **التنمية المستدامة:** يمكن تعريف التنمية المستدامة بأنها: التنمية التي تلبي احتياجات البشر في الوقت الحالي دون المساس بقدرة الأجيال

القادمة على تحقيق أهدافها، وترتكز على النمو الاقتصادي المتكامل المستدام والإشراف البيئي والمسؤولية الاجتماعية (عبد الرحمن محمد عبد الرحمن، 2007، ص7). كما عرفتها منظمة الأغذية والزراعة بأنها: إدارة وحماية الموارد الطبيعية، والتغيير المؤسسي لتحقيق واستمرار وإرضاء الحاجات الإنسانية للأجيال الحالية والمستقبلية، بطريقة ملائمة من الناحية البيئية ومناسبة من الناحية الاقتصادية، ومقبولة من الناحية الاجتماعية (عثمان محمد غنيم وماجدة أبوزيط، 2007، ص5). أما الأمم المتحدة فتعرف التنمية المستدامة بأنها: عبارة عن: مجموع الوسائل والطرق التي تستخدم بغضر توجيه جهود الأهالي مع السلطات العامة بغية تحسين مستوى الحياة في جميع النواحي في المجتمعات القومية والمحلية؛ وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها إيجابيا في الحياة العامة، وبالتالي تساهم في تقدم البلاد (الركراكي بلال، (2021)، ص12).

يتضح مما سبق أن مفهوم التنمية المستدامة مفهوم شامل يرتبط باستمرارية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية والبيئية للمجتمع، حيث أن التنمية المستدامة تمكّن المجتمع وأفراده ومؤسساته من تلبية احتياجاتهم مع حفظ عناصر التراث المتنوعة والعمل على استمراريتها وتثمين الموارد التراثية واستدامة العلاقات الإيجابية بين الإنسان والتراث حت لا يتم الجور على حقوق الأجيال القادمة في العيش بحياة كريمة.

- **تقديم مجال الدراسة**

تشمل الدراسة المجال الموريتاني، الذي يقع من الناحية الفلكية بين دائرتي عرض °15 و°27 شمالا وبين خطي طول °15 و°17 غربا، تحدها من الشرق والجنوب الشرقي مالي، ومن أقصى الشمال الشرقي الجزائر، ومن الشمال الغربي المغرب، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب السنغال. وتبلغ مساحتها 1030700 كلم^2، (الخريطة: 1).

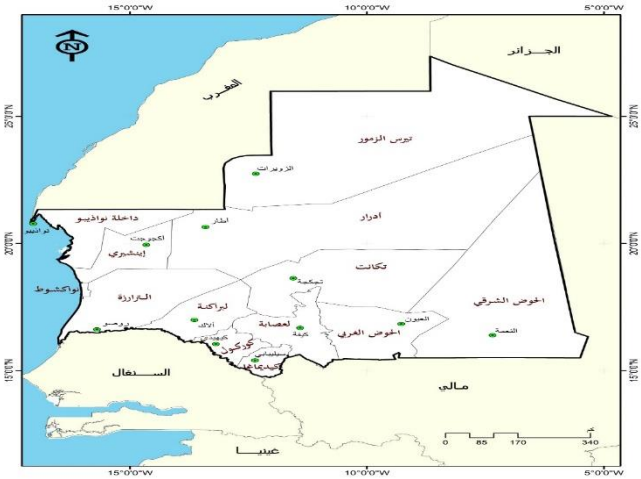

الخريطة (1): توطين مجال الدراسة

المصدر: إنجاز شخصي 2025 اعتمادا على التقسيم الإداري.

2. المناهج والأدوات

ومن أجل مقاربة إشكالية الدراسة اعتمدنا خطوات عملية وأدوات منهجية، حيث شملت الملاحظة الميدانية لمجال الدراسة، وهو ما مكّننا من الوقوف على التراث الذي تتوفر عليه موريتانيا وتحديد أوجه التدبير المستدام لعناصر هذا التراث المتنوع، كما قمنا بزيارات متكررة للمصالح الإدارية على اختلاف مجال تدخلها بغية الحصول على الوثائق والمعلومات الضرورية.

وفي مجال المعالجة الخرائطية اعتمدنا على برنامج Arc gis لرسم الخرائط، والذي يعتبر من أحدث البرامج المعلوماتية المستخدمة في التمثيل الكارتوغرافي.

كما ستتم هذه الدراسة من خلال الاعتماد على المنهج العلمي الوصفي والتحليلي؛ الذي يستخدم في الغالب مقاربات جغرافية تهتم بالعلاقة بين الظواهر وتوزيعها المجالي وتطورها وتأثير بعضها على بعض، وكذلك الاهتمام بالبنيات والأشكال التي تتخذها تلك الظواهر في ظروف معينة. كما سيكون للمقاربات التاريخية والكمية والاجتماعية والاقتصادية حضور في مواقع مختلفة من هذا العمل.

3. النتائج والمناقشة

3-1- تشخيص التراث الذي تتوفر عليه موريتانيا

سنتناول في هذا المحور تشخيص واقع التراث الموجود في موريتانيا، التي تمتلك مؤهلات تراثية متنوعة تسمح بتحقيق قيمة مضافة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا... كما تسهم هذه المؤهلات في تحقيق التنمية المستدامة من خلال رواج سياحي وديناميا بمختلف القطاعات الأخرى. كما يسهم استغلال هذه المؤهلات الطبيعية في خلق فرص عمل محلية وتحفيز التنمية المستدامة للمجتمع الموريتاني.

3-1-1- تتوفر موريتانيا على تراث طبيعي متنوع

يمتد هذا الحوض على مسافة 450 كلم، وهو عبارة عن منخفض طبوغرافي تتراوح ارتفاعاته ما بين مستوى البحر إلى حدود 100م في أقصى الشمال الشرقي والشرق؛ لذا يمكن اعتباره منطقة سهلية

على الرغم من وجود المنطقة في النطاق الجاف فإنها استطاعت حتى الآن أن تأوي الكثير من الطيور التي تأتي مهاجرة من جميع أنحاء العالم؛ ونظرا لذلك فقد صُنف هذه المنطقة على أنها من أهم المواقع التراثية في القارة الإفريقية، حيث يفضل السياح زيارة هذا الحوض والتمتع بمشاهدة ملايين الطيور المهاجرة التي تأويها هذه المحمية التي يتمثل دورها في المحافظة على هذه الأنواع.

- **كلب الريشات**

يعد كلب الريشات ظاهرة جيولوجية حيّرت العلماء والباحثين في الجيولوجيا والجيوموفولوجيا، نظرا لأن هذا المنظر الطبيعي يظهر على شكل "تل" تحيط به تلال صخرية أقل ارتفاعا منه على شكل دوائر تشبه عين إنسان؛ ولذلك سمي عين الصحراء. وفي هذا السياق، فقد زار عالم الآثار الأركيولوجية الفرنسي "تيودور مونو" منطقة قلب الريشات وأكد أن هذا المظهر الطبيعي ناجم عن بركان ميت، كان نشطا على مدى ملايين السنين، كما قام الباحث الكندي "غيوم ماتون" بدراسة لعينات من الصخور المكونة لكلب الريشات وأكد أن هذا المظهر الطبيعي ناتج عن انصهار صخور نارية تحت الأرض وقع قبل تسعين مليون سنة (LECOQUIERRE B, 2008, p 273).

ويجذب كلب الريشات السياح والعلماء والباحثين للتمتع بمشاهدة منظره الآسر وأخذ عينات من صخوره ذات الألوان والأشكال والأحجام المتنوعة، من أجل إجراء الدراسات وتحليل أسباب نشأته؛ التي ما زالت تحاك حولها الكثير من الأساطير وتقدم حولها الكثير من الفرضيات.

- **الكثبان الرملية**

توجد أنواع مختلفة من الكثبان الرملية على مستوى المجال الموريتاني تكتسي ألوانا ذهبية، تظهر بشكل متموج (الصورة: 1)، وتجذب هذه الكثبان السياح

إلى موريتانيا، الذين يفضلون المشي فوقها والاستلقاء عليها ومشاهدة غروب الشمس وما تحدثه من يتغيّر لون هذه الكثبان من الصفرة إلى الحمرة. كما تسمح هذه الرمال بتنظيم رحلات لرياضة التزلج على الرمال، وبناء خِيم تحت سماء صافية مرصّعة بالنجوم؛ مما يسهم في تنشيط السياحة البيئية والثقافية.

الصورة (1): صورة لكثبان رملية في مجال الدراسة

المصدر: عدسة الباحث، 2025.

- **الغطاء النباتي**

تنبت في الوديان الموجودة في موريتانيا أشجار ذات أوراق خضِرة، وظلال وارفة... يحتمي السياح بظلها من الشمس، وضمن هذا السياق فقد سُميت بعض الأشجار على سياح أو مرشدين سياحيين بسبب كثرة استضلالهم بظِلها مثل شجرة "تيدورمونو" في قلب الريشات أو شجرة "ساليمه ول سليمان" في فرزي وشجرة "ميشل وآليبير"... (الصورة 2). وتتخلل تلك الأودية واحات غناء من النخيل، يستمتع السياح بالتجول داخلها والمبيت فيها والتعرف على عادات وتقاليد سكانها.

الصورة (2): استغلال السياح الأشجار للاستظلال في أحد الأودية بموريتانيا

المصدر: عدسة الباحث، 2025.

- **الرسوم الصخرية والمدافن البافورية**

توجد في موريتانيا مواقع عديدة تضم رسوما صخرية لأنواع مختلفة من الحيوانات التي كانت تعيش في هذا المجال منذ آلاف السنين، ومن أشهر هذه المواقع: "القلاوية" و"البيض" و"خنيك أهل عبد المالك" و"أودي الشوك"، علاوة على ذلك توجد في المجال مئات المقابر وتحديدا في منطقة القلاوية وسبخة الشمشام (محمد الأمين الكتاب، 2013، ص24). وتجذب هذه الرسوم والمدافن للسياح للتأمل والوقوف على عينات من حضارة عريقة تدل الآثار الموجودة على عظمة الإنسان القديم الذي استطاع تطويع الحجارة والحديد. (الصورة: 3).

الصورة (3): رسوم صخرية في مجال الدراية

المصدر: عدسة الباحث، 2025.

3-1-2- تراث معماري مهم ومتنوع

تتوفر المدن الموريتانية الأربع القديمة على تراث معماري ناتج عن تراكمات طويلة، يمثل هذا التراث رصيدا وطنيا مهما بالإمكان توظيفه وتفعيله وبلورته ليصبح رافعة اقتصادية ناجحة وعامل إنماء اقتصادي وتطور اجتماعي وارتقاء فني من شأنه أن يحسن الظروف الحياتية ويرفع من المستوى المعيشي لسكان تلك المدن ويسهم في دفع عجلة وتنمية القطاع السياحي في موريتانيا بمختلف أنواعه وتجلياته (مصطفى غرابية، 2009، ص: 19).

ويوجد هذا الإرث، أساسا، في المدن الأربع المصنفة ضمن مواقع التراث العالمي لليونسكو (وزارة الصناعة التقليدية والسياحة في موريتانيا، 2019، ص19)، وهي: شنقيط، وادان، تيشيت، وولاته، حيث العمارة الصحراوية، التي تعكس جزءا من حضارات وأمم كانت موجودة في الصحراء الموريتانية على مر العصور، مقدمة لزائرها صورة عن ماض مزدهر وعمران فريد تأقلم مع الصحراء (الحسين محنض، 2010، ص49). وفي هذه المدن يستطيع السائح أن يتعرف على عظمة الفن المعماري الذي بلغته الحضارة في هذه المدن أثناء فترة ازدهارها، ويعايش كيف حافظت المدن على معمارها رغم عاديات الزمن والتقلبات المناخية والعزلة القاتلة؛ وما زالت حية تصارع كل الظروف الصعبة؛ حيث يجد السائح بناءات تحدثه عن ماضي المدينة والفكر العمراني الخلاق الذي مكّن مؤسسي هذه المدن من بناء مدن متناسقة بشكل بديع، ومن أبرز معالم المدن القديمة:

- **الدور العتيقة**
- يتشكل المجال الحضري للمدن القديمة من آلاف الدور العتيقة بعضها متهالك ولم يبق منه إلا بعض الجدران التي ما تزال عصية على السقوط بفعل بنائها القوي، أما البعض الآخر فما زال في وضعية طبيعية خصوصا الجزء الفاصل بين الحي القديم والحي الجديد؛ وتتكون هذه الدور من غرف متعددة وفناء... (الصورة: 4)، وتعكس هذه الدور جمال العمران الإسلامي وطبيعة الهوية العمرانية للمدينة الإسلامية العتيقة.

الصورة (4): دار عتيقة بمجال الدراسة

المصدر: عدسة الباحث، 2025.

يلاحظ الناظر للمورفولوجية الحضرية للمدن القديمة أن أحياء هذه المدن تربط بينها شوارع متعرجة، وتتحول هذه الشوارع والأزقة المؤدية إلى مركز المدينة أحيانا إلى طرق مسدودة، وقد يفسّر ضيق الشوارع بكونه يحمي من أشعة الشمس الحارقة خصوصا في منطقة جغرافية تتسم بمناخ صحراوي حار وجاف. ومن أبرز الشوارع الموجودة في المدن القديمة شارع الأربعين عالما في مدينة وادان؛ الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب رابطا بين المسجد العتيق والمسجد الذي أسس لاحقا وأصبح يعرف عند سكان المدينة بالمسجد الثاني بناء على أن المسجد العتيق هو المسجد الأول (الصورة: 5).

الصورة (5): مسجد في مجال الدراسة

المصدر: عدسة الباحث، 2025.

- **المتاحف**

تتوفر المدن القديمة على عدد كبير من المتاحف (الصورة: 6)، التي تضم الكثير من القطع الأثرية النادرة، يجني القائمون على هذه المتاحف موارد مالية بسبب النشاط السياحي؛ وهو ما ساعدهم على تطوير متاحفهم من خلال شراء مزيد من القطع الأثرية وتوفير آليات لحفظها (أحمد محمد يحي وإيل ريش ريبستوك، 1997، ص10). كما تلعب هذه المتاحف دورا مهما في حفظ القطع الأثرية من الاندثار، علاوة على مساهمتها في تحقيق التنمية المستدامة من خلال دعم السياحة الثقافية التي توفر فرص عمل للسكان تحد من هجرتهم نحو المدن الكبرى بحثا عن فرص عمل.

3-1-3- مخطوطات عربية مهمة وتقاليد عريقة

تتوفر موريتانيا على العديد من المكتبات التقليدية التي تشتمل على مخطوطات نفيسة تغطي مجالات معرفية متعددة كالفقه والتفسير والطب، والفلك، حيث تعد هذه المكتبات من أبرز الشواهد على عمق التراث الثقافي الذي تزخر به البلاد، وتقع هذه المكتبات في مختلف مناطق البلاد وخصوصا في مدائن التراث مثل: وادان وشنقيط وتيشيت. وقد لعبت هذه المكتبات دورا محوريا في حفظ الكنوز التراثية في البلد، رغم التحديات المناخية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها موريتانيا.

وحسب تقديرات قسم المخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، فإن عدد المكتبات يبلغ 780 مكتبة تضم 40000 مخطوط تقريبا موزعة على البلاد بأكملها، وقد تم فهرسة 30000 منها في قاعدة بيانات المعهد الموريتاني للبحث العلمي (ميمونة الإمام، 2023، ص39)

وفي هذا الصدد فقد ظهرت المكتبات التقليدية في المُدن القديمة كنتيجة طبيعية لازدهار التعليم الديني والعلمي فيها، حيث كان العلماء يجمعون المخطوطات النادرة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ خصوصا من المغرب والأندلس وتونس ومصر.

وتعود ملكية المكتبات في هذه المدن في الأغلب للأسر التاريخية المعروفة، والتي تتولى القيام بشؤونها والإشراف على صيانتها، ومن هذه المكتبات: مكتبة آل محمد السالك، ومكتبة آل الكتاب، ومكتبة آل أحمد شريف، ومكتبة عيد؛ وتضم هذه المكتبات آلاف المخطوطات التي تغطي مجالات معرفية متعددة، من هذه المخطوطات ما هو نادر ويعود يعود عمره إلى 8 قرون.

وتعد المكتبات التقليدية في المدينة من أبرز معالم التراث التي تسهم في جذب السياح، حيث تحتضن هذه المدينة تراثا علميا وثقافيا غنيا؛ وهو ما جعل السياح يقبِلون عليها من أجل استكشاف الكنوز المعرفية التي تضمها، مما يوفر دخلا إضافيا لأصحاب المكتبات ويسهم في الحفاظ على هذا التراث المهم.

ورغم التحديات التي تواجهها هذه المكتبات، مثل: تهالك البنية التحتية ونقص الموارد وارتفاع الرطوبة وانتشار الآفات الضارة، فإنها تظل من أهم معالم التراث في المدينة ومصدر جذب سياحي مهم.

كما تتميز موريتانيا بعاداتها وتقاليدها التي تعكس غنى التراث الثقافي للشعب الموريتاني، ومن أبرز هذه العادات: التقاليد الدينية كالمديح النبوي والفلكلور الشعبي المتعلق الموسيقى الموريتانية التي تمثل ذاكرة ومخزونا للتراث الثقافي من خلال آلاتها التقليدية الفريدة (التيدينيت، آردين، الطبل)؛ التي تعزَف عليها أنغام متناسقة تلحن بـ"اظْهُورِتْ أزوان" والتي تصاحبها بعض الرقصات الشعبية في بعض الأحيان؛ وهو ما يثير إعجاب بعض السياح الوافدين. علاوة على الألعاب التقليدية التي تستهوي بعض السياح وتروج للسياحة الثقافية، مثل اللعبة الذهنية "ظَامِتْ" أو "اخربيك"، والألعاب النسوية مثل "اكرور" و"السيك" و"أم أنكيب" (أسرند)، وبعض ألعاب التسلية مثل "لحمار" (التمثيل) "الطالبات" و"أحمد لمقومت" ولعبة "بافاهيم (خدي بيرام ومحمد عالي التقي، 2022، ص480).

4-1-3- الصناعة التقليدية

تعد الصناعة التقليدية جزءا مهما من التراث، وقد لعبت دورا مهما في تشكل الذاكرة الجمعية، ولا تزال تتحكم في الكثير من تفاصيل الحياة اليومية للشعوب؛ وهو ما يجعلها تراثا خالدا؛ وقد أسهمت الصناعة التقليدية في بشكل فعال في بناء الشخصية الحضارية الموريتانية، وفي تشكيل المجتمع الموريتاني في وجوده التاريخي بأبعاده الثقافية المختلفة (البكاي عبد المالك، 2021، ص4).

وفي هذا السياق، يتميز الصناع التقليديون الموريتانيون بمهاراتهم وإبداعاتهم معتمدين على مواد متنوعة: كالجلود، والخشب، والمعادن؛ لتصنيع أدوات الزخرفة والحلي وغيرها من الأدوات المنزلية، وتلقى منتجات الصناعة التقليدية رواجا وإقبالا كبيرا من طرف السياح نظرا لجودتها وأصالتها.

وقد اشتهر النساجون بمواهبهم وعطائهم الفريد، حيث يستخدمون الخشب لتصنيع أدوات الزخرفة والأثاث..

عموما، فإن المنتجات الصناعية التقليدية أصيلة ومختلفة وتجذب السياح إلى موريتانيا، حيث يحرص السياح على اقتنائها، وتشمل هذه الصناعة العديد من المنتجات. ويمكن تقسيم أنواع منتجات الصناعة التقليدية حسب أصل المنتج إلى ما يلي:

- **النوع الأول:** المنتجات الحيوانية، مثل: الخيام التي تصنع من الوبر، والمنتجات الجلدية بشكل عام كـ"إلويش" وأشروط".
- **النوع الثاني:** منتجات النخيل: كالأفرشة، الحصائر، الدوخلة...
- **النوع الثالث:** المنتجات الخشبية، مثل: الصناديق القديمة، "آمشقب"، "الألواح"، "التاديت"، "التينه" "المرقاية"..

إجمالا، فإن الصناعة التقليدية تعتبر أحد العناصر الأساسية للقيام بالنشاط السياحي، لذلك فهي تعد أحد القطاعات المهمة التي تسهم في تشغيل الأفراد والحد من مشكلة البطالة (PNUD, 2014 2015, P 91) .

2-3- مساهمة التراث في التنمية المستدامة

سنتناول في هذا المحور أهمية التراث في التنمية المستدامة في موريتانيا، وذلك من خلال الأنشطة السكانية التي تعتمد على التراث بوصفه الدعامة الاقتصادية الأساسية للتنمية المستدامة؛ حيث أن المنظور الاقتصادي للتراث قد يسهم في تجاوز المقاربة الكلاسيكية للتراث إلى مقاربة جديدة ترتكز بشكل كبير على العلاقة بين هذا التراث والتنمية المستدامة.

وقد حاولنا قدر المستطاع أن نربط البيانات المتعلقة بمساهمة التراث في التنمية المستدامة، حتى وإن تقادمت فترتها نسبيا، بالمعطيات الحالية لتظهر صورة مساهمة هذا التراث في التنمية المستدامة بشكل جلي.

3-2-1- المنشآت السياحية في موريتانيا

تشير بيانات وزارة الصناعة والسياحة إلى أن المنشآت السياحية يبلغ عددها ما يربو على 72 منشأة ما بين فنادق ونزل ومطاعم وأشكال أخرى من المنشآت، تتوزع حسب الجدول التالي (الجدول: 1)

الجدول (1): توزيع المنشآت حسب المدن في موريتانيا

المدينة	أوجفت	أطار	شنقيط	وادان	المجموع
عدد المنشآت	56	36	20	10	72

المصدر: تجميع وإنجاز الباحث بناء على وزارة الصناعة والسياحة، تقرير 2019، ص: 42

وبعد تطور السياحة شهدت النزل والفنادق زيادة في عددها وطاقتها الاستيعابية من الأسرة، وهو ما يوضحه الجدول التالي (2).

الجدول (2): أعداد الفنادق والنزل وأسرتها في موريتانيا ما بين 1999 – 2005

نوع المؤسسة	1999	2005
أعداد المؤسسات		
الفنادق	41	62
النزل والشقق المفروشة	85	147
أعداد الأسرة		
الفنادق	1800	2728
النزل والشقق المفروشة	2455	2245

المصدر: المكتب الوطني للسياحة

ومن خلال استقراء معطيات الجدول أعلاه نجد أن الزيادة التي عرفها عدد الفنادق والنزل وطاقتهما الاستيعابية يرجع إلى تطور الحركة السياحية ما بين سنة 1999 و2005، علاوة على أن بعض رجال الأعمال بدأ يدرك أهمية الاستثمار في المجال السياحي نظرا للمنافع الاقتصادية التي يحصل عليها المستثمرون في هذا المجال؛ وهو ما أسهم في تطور البنية التحتية السياحية في البلاد؛ غير أن نقطة الانعطاف الكبيرة كانت عقب الأحداث الأمنية التي شهدتها موريتانيا عقب أحداث "الغلاوية" و"ألاگ" سنة 2007 و"تورين" سنة 2008، خصوصا بعد قرار السلطات الفرنسية القاضي بتحذير رعاياها من زيارة الشمال الموريتاني باعتباره منطقة غير آمنة (عبدوتي عالي، 2015، ص124) ؛ وهو ما أدى إلى توقف للنشاط السياحي، حيث شهد في السنوات الأخيرة انتعاشا كبيرا بسبب مهرجان المدن القديمة، الذي نظمت منه ثلاث نسخ في مدينة وادان، وهو ما أسهم في دينامية النشاط السياحي؛ وتشير بيانات المكتب الوطني للسياحة إلى أن أعداد السياح شهد خلال سنة 2023 زيادة ملحوظة بسبب انقشاع وباء كورونا عن العالم.

3-2-2- توفير فرص العمل

تشير التقديرات إلى أن عدد الوظائف على مستوى قطاع السياحة يربو على 1400 فرصة عمل في قطاع الوكالات ومكاتب السفر، و1200 وظيفة في المطاعم، وزهاء 2100 وظيفة على مستوى منشآت الإيواء؛ 1200 منها في الفنادق، و900 في النزل والدور السكنية الأخرى، إضافة إلى فرص العمل غير المباشرة؛ نظرا لأن كل فرصة عمل مباشرة تؤدي إلى خلق 3-4 وظائف غير مباشرة، وهو ما يجعلنا نقول إن أعداد الوظائف التي يستقطبها قطاع السياحة تقدر ب 12 ألف وظيفة حسب بيانات إدارة السياحة.

(Rapport sur la Situation Economique, 2019, P 76)

وتتجلى مساهمة التراث في توفير فرص العمل في أكثر من جانب، حيث يتمحور النشاط السياحي في المرحلة الأولى على فئة المرشدين السياحيين؛ الذين بلغ عدد المتعاملين منهم مع الوكالات السفرية 195 مرشدا سياحيا، (وزارة الصناعة التقليدية والسياحة في موريتانيا، 2019، ص12) يوجد معظمهم في مدينة أطار التي تضم بدورها 120 مرشدا سياحيا، في حين أن البقية الأخرى توجد، أساسا، في كل من مدينة شنقيط ووادان التي بلغ عدد المرشدين السياحيين فيها 5 مرشدين؛ وهم، غالبا، عارفين بالمواقع التراثية.

كما توفر تلك الوكالات السفرية وسائل نقل تقليدية (الجمال)، تستخدم في حركة السياح لعبور المناطق الصعبة التي لا تستطيع السيارات الصحراوية عبورها. وتتركز الجمال المؤجرة في المناطق التي يوجد فيها البدو الرحل الذين يتعاقدون مع الوكالات السفرية لتأجير جمالهم، وهم، غالبا، مرشدون في مناطق وجودهم خصوصا في شنقيط ووادان و"ساقية ترجيت" التي يوجد بها 1000 جمل مخصصة للإيجار، كما أن المرشدين السياحيين يؤجرون على كل رحلة سياحية تقام على الجمال أو على متن السيارات إلى المواقع الأثرية (الجدول: 3).

الجدول (3): عدد وكالات السفر ووسائلها المؤجرة في موريتانيا

المناطق السياحية	عدد وكالات السفر	عدد السيارات المؤجرة	عدد الجمال المجرة	عدد المرشدين السياحيين
أطار	30	300	300	120
ترجيت	1	5	1000	30
شنقيط	1	50	2000	40
وادان	2	20	1300	5
ولاية آدرار	34	375	4600	195

المصدر: تجميع وإنجاز الباحث بناء على بيانات وزارة الصناعة التقليدية والسياحة، تقرير 2019، ص: 23.

3-2-3- دعم وتطوير التجهيزات الحضرية للمدن

يسهم التراث العمراني للمدن القديمة في البلاد في تحفيز جهود تطوير التجهيزات الحضرية وتحسينها، حيث يمثل الحفاظ على التراث دافعا رئيسيا لتأهيل البنى التحتية بما يتناسب مع القيمة التاريخية للمكان.

وفي هذا السياق، فقد أدت مشاريع الترميم وإعادة التأهيل إلى تعزيز شبكات المياه والكهرباء وتهيئة الطرق والأزقة القديمة بما يحفظ طابع هذه المدن المعماري المتميز. علاوة على ذلك فقد أسهم الاهتمام بالتراث في جذب التمويلات الوطنية والدولية لدعم التنمية المستدامة في هذه المدن؛ وهو ما ساعد في تحسين ظروف عيش السكان المحليين والحفاظ على أصالة المدن القديمة بوصفها مراكز إشعاع ثقافي.

عموما، فإن المنشآت السياحية تعلب دورا كبيرا في جذب السياح، مما يسهم في التنمية المستدامة؛ نظرا لأن هذه الخدمات تعتبر متطلبات مهمة لتنشيط السياحة. كما تلعب المطاعم نفس الدور الذي تلعبه المنشآت السياحية، حيث يقدم أصحابها غرفا للسياح وتوفر لهم وجبات متنوعة؛ وتنتشر المطاعم بكثرة في مدينة أطار حيث بلغ عددها 15 مطعما. وتتراوح تكلفة الضيافة للسائح الواحد ما بين 400 و500 يوورو,

4-2-3- توفيررؤوس الأموال وحث الاقتصاد الوطني للبلاد

ما تزال قدرة موريتانيا على استقبال السياح محدودة نظرا لتواضع البنية التحتية السياحية، حيث لا تتوفر إلا على 42 فندقا و49 نزلا و106 وكالة سفر. وقد سجلت في الفترة الممتدة ما بين 1997-1999م 159 فرصة عمل، كما بدأ القطاع يساهم بنسبة 21.88% من مجموع الاستثمارات والذي يقدر ب 10.230 مليار أوقية لعامي 1997 و1999م.

كما بلغ الاستثمار في سنة 1999م في القطاع السياحي 2.656 مليار أوقية بما مجموعه 12 مشروعا، حيث وفرت من فرص العمل ما قدره 3780 فرصة، أساسا، في مدينة نواكشوط وأطار ونواذيبو. ثم تمت في سنتي 1999 و2000م برمجة 52 رحلة سافر خلالها 23 ألف سائح بدخل يقدر ب 2 مليار و875 مليون أوقية؛ أي ما يعادل 11979000 دولار أمريكي، ويتوقع أن تصل مستقبلا نسبة السائحين إلى 0.2%؛ أي ما يعادل 140 ألف سائح (خدي بيرام ومحمد عالي التقي، 2022، ص492).

إجمالا، فإن موريتانيا في الوقت الحالي تتوفر على تراث متعدد، وهو ما من شأنه أن يجعل منها بلدا سياحيا؛ حيث تضم أكثر من 800 معلم أثري وتاريخي و40 ألف مخطوط موزعة على 280 مكتبة خصوصية.

4. الخاتمة

تبين من خلال تشخيصنا لواقع التراث في موريتانيا أنها تزخر بتراث غني ومتنوع، وهو ما يمثل قوة محركة للتنمية المستدامة؛ نظرا لأن التراث يعتبر رأس مال ترابي ورافعة للتنمية المستدامة.

وتتضح الأهمية السياحية للتراث الموريتاني في طبيعة المجالات التي تتركز فيها المواقع التراثية الصنّفة دوليا؛ حيث إن عمليات التصنيف لا تسهم في التسويق الترابي للمؤهلات التراثية والتعريف بها فقط، بل تعطيها إشعاعا يخدم الجاذبية السياحية ويدعم التنمية المستدامة.

كما يمثل تعدد مقومات التراث الطبيعي والثقافي في موريتانيا مادة دسمة للعرض السياحي من حيث تنويع المنتجات والأنماط السياحية الممارسة في المجال، إلا أن هذه المؤهلات التراثية ما يزال استغلالها دون المأمول، بسبب عدم الاعتماد على القطاع السياحي كقطاع استراتيجي وإهماله في مختلق المخطط التنموية؛ حيث أن هنالك مجموعة من العوامل الأخرى التي تسهم في تراجع القطاع السياحي مثل عدم تمتع موريتانيا بموقع مهم في خريطة السياحة العالمية بما يتماشى مع الإمكانات السياحية التي تتميز بها.

علاوة على ذلك فإن السياحة تسهم في خلق العديد فرص العمل، التي يعود معظمها لقطاع الصناعات التقليدية، في حين أن هياكل الإيواء والوكالات السفرية تقتصر مساهمتهما على توفير مناصب بصفة مؤقتة.

ورغم الأهمية التنموية للتراث في البلاد، فإن الإكراهات المرتبطة بالعامل البشري والتحديات المتعلقة بوقع التقلبات المناخية وقساوة الظروف الطبيعية وندرة الموارد المائية تفرض التعامل مع التراث وفق رؤية تشاركية من أجل وضع استراتيجية محكمة تستهدف علميات: الحفظ، والصيانة، وإعادة الاعتبار، والترميم، والثمين، والبحث عن السبل الكفيلة بتوظيف التراث ليس فقط في تنمية القطاع السياحي، بل في تأهيل منظومة الاقتصاد الوطني بشكل عام.

وهكذا، فإن المشاريع التي تم تنفيذها في موريتانيا من أجل حماية التراث ما تزال دون المطلوب، وهو ما يتطلب:

- ✓ تسويق التراث عبر الشبكة العنكبوتية للتعريف بالمواقع الأثرية والمناظر الطبيعية والمزارات الموجودة في البلاد من أجل إثارة الاهتمام بها وجلب السياح والمختصين إليها.
- ✓ إشراك السكان في عملية تهيئة وتنمية المدن القديمة من أجل بناء استراتيجية شمولية ومتناسقة تتجاوز الإكراهات والإخفاقات السابقة.
- ✓ جلب الاستثمارات للمدن القديمة خاصة المشاريع الداعمة لتثمين التراث وتعزيز الجاذبية السياحية وبالتالي خلق فرص جديدة للعمل.
- ✓ الاستغلال الأمثل للتنوع الطبيعي والثقافي اللذان تتميز بهما المدن القديمة، وذلك من خلال تنويع العروض السياحية وفقا لخصائص ومقومات كل منطقة وبما يتوافق ومتطلبات السياحية واستدامة البيئة.
- ✓ بذل المزيد من الجهود وفق مقاربة مندمجة تسعى إلى تثمين واستثمار التراث الطبيعي والثقافي الذي تزخر به البلاد من أجل جعل اقتصاد التراث محرّكا للتنمية المستدامة في البلاد.
- ✓ دمج الثقافة في برامج وسياسات التنمية المستدامة.

قائمة المصادر والمراجع

- الجابري، محمد عابد، 1991، التراث والحداثة، الطبعة الأولى، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ، بيروت، لبنان.
- بنت إبراهيم خديجة، 2009، محمية حوض آركين على الساحل الموريتاني: التوازنات البيئية، مظاهر التدهور، وآفاق الحماية، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب.
- بلال الركراكي، 2021، النموذج التنموي الجديد وإشكالية تحقيق التنمية الترابية بالمغرب؛ دراسة مقارنة على ضوء التجارب التنموية الإفريقية الأوروبية، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد سلطات، المغرب.

- بنت الإمام ميمونة، 2023، جغرافية المخطوط الموريتاني، مجلة الثقافة، العدد: 9، وزارة الثقافة والشباب والرياضة والعلاقات مع البرلمان.
- بيرام خدي، محمد عالي التقي، 2022، الدور التنموي للسياحة الثقافية في موريتانيا، المجلد: 14، العدد: 2.
- بنت النجاة محمد الإمام، 2023، حماية التراث الموريتاني المخطوط بين الواقع والمأمول، مجلة الثقافة الموريتانية، العدد: 9، وزارة الثقافة والشباب والرياضة والعلاقات مع البرلمان.
- عبد الرحمن محمد عبد الرحمن، (2007)، التنمية البشرية ومعوقات تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر.
- عثمان محمد غنيم وماجدة أبوزيط، 2007، التنمية المستدامة، الطبعة الأول، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- غرايبة مصطفى، 2009، السياحة الصحراوية في الوطن العربي: الواقع والمأمول، الطبعة الأولى، الأردن، دار قنديل للنشر والتوزيع.
- محمدن محمد الأمين، زهير النامي، 2021، البيئة في ولاية الترارزة (موريتانيا): التحديات وآفاق الاستدامة، مجلة الاقتصاد والبيئة، المجلد: 4، العدد: 1، جامعة عبد الحميد بن باديس، مخبر بحث استراتيجية التحول إلى اقتصاد أخض، الجزائر.
- ولد الكتاب محمد الأمين، 2013، وادان من تأمل الماضي إلى تمثل المستقبل، مقال منشور ضمن كتاب مهرجان المدن القديمة، ط1، وزارة الثقافة والشباب والرياضة.
- ولد عال عبدوتي، 2015، مدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية، المركز الجامعي للنشر والإعلام، جامعة نواكشوط.
- ولد محنض الحسين، 2010، تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر.
- ولد عبد المالك البكاي، الصناعات التقليدية في موريتانيا، مجلة الثقافة الموريتانية، العدد: 4، وزارة الثقافة والشباب والرياضة والعلاقات مع البرلمان، 2021.
- ولد محمد يحي أحمد وإيل ريش ريبستوك، 1997، فهرس مخطوطات شنقيط ووادان، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
- وزارة الصناعة التقليدية والسياحة في موريتانيا، 2019، قطاع السياحة.
- وزارة الصناعة التقليدية والسياحة في موريتانيا، تقرير 2019.
- يحي حاجي وقجال نادية، 2018، التراث الثقافي المادي واللامادي ودوره الأساسي في بعث السياحة الصحراوية، مجلة جماليات، المجلد: 1، العدد: 5، الجزائر.
- LECOQUIERRE B, 2008, parcourir la terre – le voyage, de l'exploration au tourisme, l'harmattan (coll. La-bas.
- Rapport sur la Situation Economique, 2019